مؤتمر الطلاب المستقلين

خلفية تاريخية

محمد جلال أحمد هاشم

2011/6/5م

مقدمة

ظهرت في منتصف سبعينات القرن العشرين، حركة سياسية جديدة بين طلبة الجامعات والمعاهد العليا في السودان وخارجه. تطورت تلك الحركة من التيار الحيادي الذي انتشر وقتها بين الطلاب الذين نظروا إلى أنفسهم بوصفهم "مستقلين" من أي انتماءات سياسية. إلا أن تلك الحركة كانت بدرجة عالية من الإيجابية في تعبيرها عن نفسها بحيث أصبح واضحاً أن "الحيادية" لم تكن التعبير الحقيقي عنها. ولهذا شكل ميلادها حركة جديدة، ولكنها غير حيادية، شرعت من لحظتها في تنظيم صفوف ورص قوى جموع الطلاب غير المسيسين لتتكون من ذلك نوويات تنظيمية أولية في جميع مؤسسات التعليم العالي بالسودان وخارجه. وهكذا بحلول عام 1979م برز إلى الوجود تنظيم" مؤتمر الطلاب المستقلين" في ثلاث جامعات أساسية بالسودان، هي جامعة الخرطوم، جامعة أمدرمان الإسلامية، ثم جامعة الجزيرة بالإقليم الأوسط، لتتبعها في ذلك باقي الجامعات. في البدء ظهر هذا الاسم في جامعة الخرطوم، بينما كانت الجامعتان الأخريان يستخدمان اسم "رابطة الطلاب المستقلين" أو ما شابه. إلا أنها جميعاً التقت في الاسم الحركي الذي لا يزال إلى اليوم، وهو "مؤتمر الطلاب المستقلين".

شرعت هذه الحركة السياسية الطلابية الجديدة فوراً في اختطاط خطابها الفكري. وكان واضحاً أنها تريد تمييز نفسها عن كلا الاتجاهات اليسارية واليمينية. فقد اختارت، دون أن تتبنى الإسلاموية أن الاشتراكية، ما أطلقت عليه مسمى "التراث السوداني"، معبرةً بذلك عن اتجاهها في استلهام فكرها من داخل ذاتها الوطنية، لا من خارجها (مصنفةً الخط الاشتراكي والخط الإسلاموي، اللذين كان يمثلهما الحزب الشيوعي والقوميون العرب، ثم الإخوان المسلمين، على التوالي، على أنهما يمثلان فكراً أجنبياً غير متوطن في السودان). وقد أعلنت الحركة الوليدة في شجاعة ووضوح التزامها القوي إزاء الديموقراطية. وفي سبيل أن تسصحب معها ولاء جموع الطلاب التي كانت لا تزال أفكارها عالقة بالحيادية، أعلنت الحركة عن خطها المناصر لفكرة تسيير وإدارة الاتحادات الطلابية بحيث تصدى بصورة أساسية لتلبية احتياجات الطلاب بدلاً عن تسييسها بالمستوى الذي كانت عليه وهي حينها تحت قيادة حركة الإخوان المسلمين. ثم أخيراً رفعت الحركة عالياً شعار أنها "الخيار المعافى" والبديل الأمثل لكلا اليمين واليسار، ثم تمدد الشعار ليشمل التنظيمات الطائفية التقليدية مثل حزب الأمة (طائفة الأنصار) والحزب الاتحادي الديموقراطي (طائفة الختمية).

في عام 1979م، أي بعد بعد عام واحد من ميلادها بجامعة الخرطوم، الجامعة الأكبر والأكثر تأثيراً في السياسة السودانية، نجحت حركة مؤتمر الطلاب المستقلين في تجميع القوى السياسية لتكشيل تحالف من التنظيمات السياسية للوقوف في وجه الإخوان المسلمين الذين كانوا حينها يقودون اتحاد طلاب جامعة الخرطوم منذ أن تم التوقيع على المصالحة الوطنية التي جمعتهم مع النظام المايوي في عام 1977م. كان الهدف الرئيسي لذلك التحالف تعديل الدستور بحيث يعتمد نظام التمثيل النسبي

بدلاً عن نظام الحر المباشر. إلا أن هذا الهدف لم يتحقق وذلك نسبةً لأن الاتحاد لم يتمكن من إكمال دورته نسبةً للمواجهات العنيفة التي قام بشنها ضده الإخوان المسلمون الأمر الذي أدى إلى إغلاق الجامعة.

كان الاختراق الأكبر لمؤتمر الطلاب المستقلين في جامعة الجزيرة حيث تمتع بدعم غالبية الطلاب. وقد جعلهم هذا الأمر يقودون اتحاد طلاب جامعة الجزيرة لوحدهم لسنوات طويلة. وبنفس المستوى تمكن مؤتمر الطلاب المستقلين من تفعيل نشاطه في جامعة أمدرمان الإسلامية. فقد تمكن المؤتمر (حيث أصبح يعرف اختصاراً) في عام 1981م من قيادة تحالف للتنظيمات السياسية الأمر الذي جعلهم ينتزعون الاتحاد من قبضة الإخوان المسلمين. وهكذا انتشرت حركة مؤتمر الطلاب المستقلين بحلول عام 1982م في كل الجامعات السودانية والمعاهد العليا (جامعة جوبا، معهد الكليات التكنولوجية [الآن جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا]، باستثناء جامعة القاهرة فرع الخرطوم التي لم تشهد قيام تنظيم مؤتمر الطلاب المستقلين إلا بعد عام 1986م. وقد عبرت حركة المستقلين (كما أصبحت تعرف أيضاً) الحدود لتنتشر بين طلاب الجامعات في مصر، سوريا، الجزائر، باكستان، الهند، والاتحاد السوفيتي سابقاً، فضلاً عن دول الكتلة الاشتراكية عامة، ثم في بريطانيا بأوربا الغربية. في عام 1982م عقد مؤتمر الطلاب المستقلين أو مؤتمر مركزي عام لجميع مكاتبه بالداخل والخارج وذلك منذ تأسيسه. عُقد ذلك المؤتمر، أو الاجتماع الموسع بصورة أدق، في مباني كلية العلوم البيطرية، جامعة الخرطوم، بشمبات في الخرطوم بحري. كان ذلك في شهر يونيو، أي بعد أربع شهور (أي في يناير) من سلسلة المظاهرات التي تفجرت في العديد من المدن السودانية وعلى رأسها في اللعاصمة المثلثة احتجاجاً على الارتفاع الجنوني لأسعار الأغذية وسعر السكر تحديداً التي تصاعدت لدرجة أثرت سلبياً على المستوى المعيشي للطبقات الدنيا في المجتمع (مظاهرات السكر في عام 1982م). تعامل نظام مايو مع تلك المظاهرات بطريقة عنيفة، فاتحاً النار عليها ليسقط من جرائها ما يزيد على الأربعين شهيداً. كان مؤتمر الطلاب المستقلين التنظيم الذي بادر بإشعال تلك المظاهرات وتسييرها، انطلاقاً من جامعة الخرطوم؛ في تلك المظاهرات زفّ المؤتمر باكورة شهدائه، ألا وهو الشهيد عبد الحميد سعيد عثمان (كلية البيطرة). كان لتلك الأحداث تأثير كبير على حركة المستقلين، إذ جعلتهم يواجهون الآثار المترتبة عن الوقوف ضد النظام الحاكم ومعارضته. بيد أن تلك الأحداث، فضلاً عن أنها قوّت من شكيمتهم النظالية، جعلتهم يشعرون بدرجة من النضج السياسي والثوري.

بحلول عام 1983م بدا واضحاً للمراقبين أن مؤتمر الطلاب المستقلين بصدد تجميع جهوده لزيادة شعبيته بين صفوف الطلاب بالجامعات، واضعاً نصب عينيه الانتخابات القادمة كهدف أعلى (كان حينها لا يزال مسيطراً على اتحاد طلاب جامعة الجزيرة). وبالفعل نجح في جامعة الخرطوم في تشكيل وقيادة تحالف من القوى السياسية الأخرى أطاح بالإخوان المسلمين من على سُدّة اتحاد الطلاب وذلك في عام 1984م. وقد كان من نصيب المؤامر كلا رئاسة الاتحاد (عمر الدقير) ورئاسة المجلس الأربعيني (إبراهيم الشيخ)، هذا فضلاً عن تخصيص عدد 20 من مقاعد المجلس الأربعيني له وحده، بينما تم تخصيص عدد أربعة مقاعد فقط لكل تنظيم سياسي داخل التحالف، الأمر الذي يشير بوضوح إلى قوته وشعبيته. في جامعة أمدرمان الإسلامية، قام المؤتمر بنفس الشيء، لكن ليفوز فقط بمقعد رئيس المجلس الثلاثيني (عمر حمد النيل). في معهد الكليات التكنولوجية كان للمؤتمر أيضاً دور قيادي في تحالف من نفس الشكل. وهكذا، ما إن ضمن المؤتمر قيادة الثلاث جامعات الرئيسية (الخرطوم، أمدرمان الإسلامية ثم الجزيرة) حتى شرع في التحريض السياسي الذي بالفعل نجح في إشعال الثورة الشعبية التي أسقطت النظام المايوي في أبريل من عام 1985م.

قبل شهرين من اشتعال فتيل الثورة، تم اعتقال غالبية أعضاء اللجنة التنفيذية لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم، وعدد من أعضاء المجلس الأربعيني، ليتم على أثرها إغلاق الجامعة. ترك هذا الوضع جامعتين فقط من الثلاث (الجزيرة وأمدرمان الإسلامية) في متناول يد مؤتمر الطلاب المستقلين لتحريك الشارع السوداني، مع دفع جامعة أمدرمان الإسلامية إلى المواجهة بحكم وجودها بالعاصمة المثلثة. هناك في داخل اللجنة التنفيذية لاتحاد طلاب جامعة أمدرمان الإسلامية، قام مؤتمر الطلاب المستقلين بتقديم اقتراح للخروج إلى الشارع، إلا أنه سقط وذلك عندما استخدم رئيس الاتحاد (كان من حزب الأمة وظائفة الأنصار) صوته الترجيحي ضد الاقتراح. عندها اتجه المؤتمر إلى المجلس الثلاثيني، أعلى سلطة في الاتحاد بعد الجمعية العمومية، حيث كان رئيسه من المؤتمر (عمر حمد النيل). هناك تمكن مؤتمر الطلاب المستقلين من تفويز اقتراحه بالخروج إلى الشارع، ولكن ليس قبل أن يستخدم رئيس المجلس الثلاثيني حقه في الصوت الترجيحي أيضاً. في يوم 27 مارس من عام 1985م، وبعد يوم من المظاهرات القليلة والمتفرقة في بعض أنحاء العاصمة المثلثة، خرج طلبة وطالبات جامعة أمدرمان الإسلامية إلى الشارع تحت قيادة مؤتمر الطلاب المستقلين الذي كانت منابره تضج بالتحريض على الخروج إلى الشارع. في السادس من أبريل من عام 1985م سقط نظام مايو وانتصرت الثورة؛ في ذلك اليوم اقتحمت جماهير الشعب، وفي مقدمتها قادة مؤتمر الطلاب المستقلين، سجن كوبر حيث كان قادة اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، مع باقي قادات العمل السياسي، معتقلين، فأطلقت الجماهير سراحهم جميعاً. مستخدما مكبر صوت يخص أحد ضباط السجن، قام واحد من قيادات مؤتمر الطلاب المستقلين (محمد جلال أحمد هاشم) بتقديم رئيس اتحاد طلاب جامعة الخرطوم (عمر يوسف الدقير)، الخارج لتوه من غياهب السجن، ليخاطب الجماهير.

حركة المستقلين وحزب المؤتمر الوطني (لاحقاً حزب المؤتمر السوداني)

مباشرةً بعد أن هدأت الأحوال عقب ثورة أبريل، شرع مؤتمر الطلاب المستقلين وعدد كبير من خريجي الحركة في تكوين حزب سياسي خاص بهم. فقد بدأوا يشعرون بالإحباط بسبب تغافل باقي القوى السياسية التقليدية للدور الكبير الذي لعبته حركتهم في تفجير الثورة. فقد بدا كما لو لم ترد تلك القوى أن تعترف بذلك الدور، وهو اعتراف ربما قاد إلى صعود صاروخي للحركة الجديدة التي لم يكن الشعب السوداني يعرف عنها شيئاً بعد. فحتى ذلك الوقت كانت فكرة "الاستقلالية"، التي كانت تتطور داخل الحركة بسرعة فائقة إلى مفهوم فلسفي مركب، لا تزال عند عامة الشعب ومثقفيه ملتبسة مع فكرة "الحيادية" والسلبية. كان مؤتمر الطلاب المستقلين عازماً على إعادة الاعتبار لنفسه كأحد مفجري الثورة وكلاعب أساسي في الساحة السياسية؛ لقد كانوا بدرجة كبيرة من الغرارة والسذاجة، ممتلئين بالزهو والاعتداد بالنفس وذلك بحكم المرحلة العمرية، إذ كان ذلك الجيل الشاب هو أول جيل خريجين لهم. ومع ذلك، كانوا على ثقة كبيرة من أنهم يملكون ما يعوز الآخرين: الحماسة والجسارة! كانت مشكلتهم وقتها في أن عدداً قليلاً من خريجيهم كان مؤهلاً من ناحية السن والعمر للترشح في الانتخابات القادمة (انتخابات 1986م) (أي كانوا دون الثلاثين). عندها أصبح واضحاً للعيان أن حركتهم بحاجة ماسة إلى حقنة عمرية من فئة أكبر سناً بقليل كيما تنضم إليهم. وبالتالي، بمثل ما كانوا يبحثون عن هذه الفئة، كانت هناك العديد من المجموعات السياسية النائشة تحوم حولهم لضمهم إليها. حينها كانوا يعرفون بمسمى "مؤتمر المستقلين" الذي يشمل كلا فئتي الخريجين والطلبة من منسوبي الحركة. في خاتمة هذه المناورات، قامت مجموعة سياسية بعينها اسمها "الوطنيون الأحرار" بالاتصال بحركة

المستقلين. كانت هذه المجموعة، التي تأسست بشهور قبيل اندلاع الثورة، تتكون بصورة أساسية من المهنيين، وبخاصةٍ من أساتذة جامعة الخرطوم بكلية الطب وبعض الكليات الإنسانية الأخرى، حيث كان أغلبهم ممن قام بتدريس قيادات حركة المستقلين أيام الطلب. أدت هذه العلائق السابقة إلى تعبيد الطريق لتأسيس علاقة ممتلئة بالإلفة والإطمئنان بين المجموعتين.

أخيراً أفضت الاجتماعات المكثفة التي استمرت لما يقرب من العام إلى ميلاد حزب سياسي جديد. كان من الطبيعي لاسم الحزب الوليد أن يتكون من توليفة تشير إلى التنظيمين اللذين أنجباه، أي إلى مؤتمر المستقلين والوطنيين الأحرار. وهكذا تأسس في عام 1986م حزب "المؤتمر الوطني"، ولكن دون أن يشمل جميع خريجي حركة المستقلين. لم يتمكن الحزب الجديد، لأسباب عملية وإجرائية، من تبني الفكر الوليد الذي كانت ترعاه بعناية فائقة مجموعات بعينها من خريجي حركة المستقلين. كانت هناك مفارقة تكمن في أن قيادات الوطنيين الأحرار الناضجة من ناحية عمرية، لم تكن في وضع نفساني أو فكري يسمح لها بأن تتلمذ على يد الأجيال الشابة المنتمية لحركة المستقلين؛ أحجم أعلب هؤلاء عن الانضمام إلى حزب المؤتمر الوطني. إلا أنه لم تكن هناك أي ضغائن أو حزازات نفسية بين أولئك الذين انضموا إلى حزب المؤتمر الوطني وأولئك الذين أحجموا نسبةً لتحفظاتهم. ففي النهاية أصبح لحركة المستقلين (خريجين وطلبة) حزبهم الخاص بحركتهم حتى لو لم يتم إجماع حوله.

خلال عمر الديموقراطية القصير (1986م - 1989م) قام حزب المؤتمر الوطني مسنوداً بجماهيرية مؤتمر الطلاب المستقلين في الجامعات بنشاط ملموس؛ فقد تمكنا من تسيير أكبر المظاهرات احتجاجاً على التصاعد الصاروخي للأسعار، وبوجه خاص أسعار المواد الغذائية، وبوجه أخص أسعار السكر (مظاهرات السكر، 1989م). أدت هذه المظاهرات إلى إسقاط ما كان يعرف بحكومة الوفاق التي جمعت حزب الأمة مع الجبهة القومية الإسلامية. كنتيجة مباشرة لسقوط تلك الحكومة، حثت الجبهة الإسلامية الخطى في سبيل إنفاذ انقلاب العميد عمر البشير في عام 1989م، وقبل شهرين فقط من الانقلاب الذي دبرته الجبهة الإسلامية، أصدر حزب المؤتمر الوطني برنامجه الذي أطلق عليه اسم "برنامج الإنقاذ الوطني". في ذلك البرنامج الذي بدأ بشعار: "السودان: بين أن يكون أو لا يكون"، حذر حزب المؤتمر الوطني من شيئين على وجه التحديد: الأول كان انتشار الحرب، والثاني كان احتمال حدوث انقلاب عسكري. في الثلاثين من يونيو عام 1989م وقع انقلاب العميد وقتها عمر حسن، حاملاً اسم "ثورة الإنقاذ الوطني". أحدث هذا التطابق في الأسماء بلبلة داخل حركة المستقلين (في كلا قطاعي الطلبة والخريجين)، ثم كذلك بين القوى السياسية الأخرى. لاحقاً تبين أن ذلك التطابق لم يكن سوى خطة تمويهية من قبل الجبهة القومية الإسلامية لتغطية انقلابهم غير المرحب به. فقد كان معروفاً للأحزاب السياسية أن حزب المؤتمر الوطني يملك علاقات قوية بين ضباط الجيش الذين أبدى الكثيرون منهم إعجابهم بالحزب الجديد وبالحركة الشابة. سنوات بعد ذلك، وتحديداً في عام 1998م، سوف يصبح مدبرو الانقلاب أكثر جرأةً إذ سوف يسطون على اسم الحزب الوليد، ليصبح اسم حزبهم الحاكم: حزب المؤتمر الوطني!

نشطت حركة مؤتمر الطلاب المستقلين، يساندها حزبها الجديد (حزب المؤتمر الوطني) في التعبئة السياسية ضد نظام عمر البشير العسكري. فقد استضافت بيوت الأشباح سيئة السمعة الصف الأول القيادي للحزب وذلك في أعقاب الإضراب الذي قادته نقابة الأطباء أخريات عام 1989م. إلا أن مؤتمر الطلاب المستقلين كان هو الذي يتلقى الضربات تلو الضربات من قبل الأجهزة الأمنية طيلة السنوات الأولى للنظام العسكري. في ذلك الوقت، كانت أغلب قايادات العمل السياسي قد هربت من البلاد، متجهة إما لإثيوبيا أو أريتريا أو مصر، لتضم جهودها إلى جهود الحركة الشعبية لتحرير السودان. تلك كانت اللحظة التي اتجه

فيها حزب المؤتمر الوطني لتجميع قواه بين ضباط الجيش السوداني لبدء النضال المسلح. أخذت الاتصالات والمفاوضات حوالي عامين، من منتصف عام 1992م إلى منتصف عام 1994م. وهكذا بنهاية عام 1994م برزت إلى الوجود حركة قوات التحالف السودانية برئاسة العميد عبد العزيز خالد؛ وقد جاء تكوينها بمثابة تحالف لعدد من القوى السياسية الصغيرة، أكبرها حزب المؤتمر الوطني. إلا أن مجموعة معتبرة من العناصر المحافظة داخل حزب المؤتمر الوطني أحجمت عن الانضمام إلى قوات التحالف؛ هؤلاء فضلوا أن أن يمارسوا العمل العام عبر وسائل النضال المدني ممثلة في الحزب. مرة أخرى، لم تكن هناك أي مرارات أو ضغائن حيث استمر التعاون والتنسيق بين المجموعتين بصورة سلسة. في الواقع، خدم حزب المؤتمر الوطني كذراع مدنية لقوات التحالف السودانية؛ وبالمثل خدمت قوات التحالف السودانية كذراع عسكرية للحزب. وقد دفع هذا الوضع حديثي التخرج من حركة المستقلين إلى التسلل إلى الجبهة بإثيوبيا وإريتريا للانضمام إلى قوات التحالف.

جعل هذا الوضع من مؤتمر الطلاب المستقلين هدفاً مباشراً لأجهزة الأمن داخل السودان. فقد أصبحت الحركة تتلقى سلسلة من الضربات المتلاحقة حتى إنه، بانعطافة القرن، انحسر نشاط الحركة كثيراً. وقد أغرى هذا الوضع حركة قوات التحالف السودانية للقيام بانشقاق داخل حركة المستقلين بالجامعات والمعاهد العليا السودانية لدرجة أن يتم تغيير الاسم من "مؤتمر الطلاب المستقلين" إلى اسم "التحالف الوطني السوداني". سببت هذه الأحداث شيئاً من الاضطرابات والمواجهات، خاصةً عندما أدت هذه الأحداث إلى استثارة النخوة الحركية وسط العديد من منسوبي الحركة (طلبةً وخريجين) إلى التصدي وبقوة لإفشال هذا التحرك الانشقاقي. بالفعل، وضعت هذه الهبة حداً لهذا التيار الانشقاقي وأعادت الأمور إلى نصابها. كانت تلك الأحداث المرة الأولى والأخيرة التي يحدث فيها مثل سوء التفاهم هذا بين التنظيمين الشقيقين (حزب المؤتمر وقوات التحالف). في الوقت الحالي تشهد حركة مؤتمر الطلاب المستقلين انتعاشاً وانتشاراً، بينما تعاني حركة التحالف الوطني السوداني (الذراع الطلابية لحركة التحالف الوطني السوداني) بالجامعات ركوداً وهموداً.

التطور الفكري لحركة المستقلين: منهج التحليل الثقافي وصراع المركز والهامش

بحلول عام 1986م نجحت حركة مؤتمر الطلاب المستقلين في بلورة خطابها الفكري الذي تركز حول الاستقراءات الفلسفية لمفهوم "الاستقلالية". تميز هذا الخطاب بكونه ثقافياً، ليس بمادي ولا مثالي, وقد استمد الخطاب محدداته من الثقافة ككل مركب يشمل جميع مكونات الحياة الاجتماعية، المادية والروحية. من خلال هذا الإطار الفكري، تمكنت حركة المستقلين من اختطاط مفاربتها الثقافوية لمفهوم الصراع بين المركز والهامش، وذلك بوصفها صيغاً مفهومية للهوية. وقد أطلق على هذه الرؤية "منهج التحليل الثقافي". وقد كانت تلك الرؤى هي نفسها التي ظلت حركة قوات التحالف السودانية تروج لها من خلال منابرها وإذاعتها، ولا تزال إلى لحظتها الراهنة. وعندما سقطت منظومة الدول الاشتراكية، شرعت الحركة الشعبية في تحوير خطابها بخصوص مفهوم المركز والهامش، متجاوزةً لخطابها اليساري المحدث، حيث قامت بتبني المنظور الثقافي. وقد جعلها هذا التطور الفكري تصبح أقرب إلى حركة المستقلين، الأمر الذي انعكس بدوره في انضواء العديد من منسوبي مؤتمر الطلاب المستقلين فيها. وبما أن هذا هو نفسه الخطاب الفكري الذي يتبناه حزب المؤتمر السوداني (أي نفس حزب المؤتمر الوطني سابقاً، وذلك بعد أن اضطرّ لتحوير اسمه تفادياً للبس الناجم عن اختطاف حزب الحكومة لاسمه)، أمكننا هذا من أن نتصور

الدور الكبير الذي لعبته حركة مؤتمر الطلاب المستقلين، أكان ذلك على المستوى السياسي أم على المستوى الفكري. وليس أقل من أن نلاحظ أنها قد وضعت أرضية لتلاقي عدد من الأحزاب حول رؤيتها.

ولكن لزم القول بأن هناك قطاعات عديدة من منسوبي حركة المستقلين لم تجد نفسها فكرياً في منهج التحليل الثقافي. وأغلب هذه القطاعات تعود إلى أجيال الرعيل الأول التي تخرجت من الجامعات دون أن تشهد التبلور الفكري الذي تطورت إليه تلك الأفكار الأولية التي كانوا يروجونها ويدعون إليها. فالمنظومة الفكرية لحركة المستقلين تطورت اعتمالاً لا نظراً فحسب، أي من خلال المعاضلة والمناظرة معاً. ولهذا كان حظ الأجيال الأسبق قليلاً نسبياً في مواكبة هذا التطور إزاء الأجيال اللاحقة. إلا أن هذا لا يعني مفارقة منهج التحليل الثقافي للأسس الفكرية الأولى لحركة المستقلين.

خاتمة

لقد مضت الآن أكثر من ثلاثين عاماً منذ أن انطلقت حركة مؤتمر الطلاب المستقلين. لقد بدأت تلك الحركة التي لا تزال فتية وقوية بمنطلقات فكرية بسيطة، لكنها عميقة. تطورت تلك الأسس عبر السنوات الثلاثين حتى أعطتنا خطاباً فكرياً متميزاً وقوياً، به اشتهرت حركة المستقلين بأنها تملك فكراً ناصعاً وواضحاً وعميقاً، عبره يمكن فهم وتفسير الواقع. مع هذا حافظت تلك الحركة على قوتها وحيويتها التنظيمية، بالرغم من فترات الخمود والضعف التي مرت بها؛ إلا أنها لا تزال تعتبر من أكبر التنظيمات الطلابية بالجامعات والمعاهد السودانية وأقواها. تطورت من تلك الحركة التي رادها شباب لم يتجاوزوا العشرينات من أعمارهم حركتان حزبيتان على أقل تقدير، حملت إحداهما السلاح ضد الدولة. كما التحمت معها حركة أخرى رؤيوياً، فأصبح خطابها متداخلاً مع الخطاب الفكري لحركة مؤتمر الطلاب المستقلين. وقد مهد كل هذا لدرجة عالية من التنسيق والعمل المشترك بين هذه الأحزاب، الأمر الذي يمكن أن يتمخض عن شكل من أشكال التحالفات التاريخية. كما لم تشهد هذه الحركة أي انشقاقات، ليس لأنه لم يفارقها منسوبوها، بل لأن أس الانتماء إليها لم يكن عقدياً به يخرج المرء من الملة إذا ما خرج عن التنظيم. فقد دخل إلى الحركة كثيرون كما خرج منها أناس أكثر من ذلك، دون أن ينجم عن هذا أي مرارات أو ضغائن أو عداوات وذلك نسبةً للإيمان العميق بالحرية والديموقراطية داخل الحركة. فالعمل والانتماء التنيظيمي الحزبي والسياسي ظل ينظر إليها جميعاً على أنها شكل من أشكال العمل الطوعي الحر. وهذا لعمري أعلى درجات الحضارة في ممارسة العمل السياسي العام.

شملت عضوية مؤتمر الطلاب المستقلين جميع ألوان الطيف الاجتماعية والثقافية السودانية؛ فقد انضم إليها طلاب من الوسط والشمال وأقصى الشمال؛ كما انضم إليها طلاب من كردفان ودارفور، فضلاً عن شرق وجنوب السودان. شهدت الحركة انتشاراً موازياً بين الطلاب القادمين من إقليم دارفور، بل يمكن الزعم بأن انتشار فكر الحرة الاستقلالية بين جموع الطلاب في جامعات دارفور أحد عوامل ترفيع وعي الحركات المسلحة التي انطلقت في دارفور. فقد كان منسوبو حركة المستقلين من أوائل المنضمين لتلك الحركات؛ انضموا لها بفكرهم واستنارتهم فيما يتعلق بقضايا الصراع بين المركز والهامش. مع بدء الألفية الثالثة، سجلت حركة مؤتمر الطلاب المستقلين انتشاراً كثيفاً بين الطلاب الجنوبيين في الجامعات السودانية. كان السبب المباشر لهذا الانتشار الذي تزامن مع صعود نجم الحركة الشعبية لتحرير السودان، انتشار الفكر الاستقلالي لحركة المستقلين

بين جموع الطلاب عامةً وبين الطلاب الجنوبيين خاصةً. واليوم، وقد انفصل جنوب السودان، تشهد الجامعات السودانية الجنوبية انتشاراً واسعاً للحركة بين الطلاب السودانيين الجنوبيين للدرجة التي أصبحت معها الحركة أحد أكبر التنظيمات الطلابية السياسية بالجنوب.